مذهب تناسخ الارواح

٢

آراء ومعتقدات

انتهى بنا الحديث في ما اسلفنا من الكلام على مذهب التناسخ الى ما تجري به السنة اصحابه من الاسئلة التي يلقونها على المفكرين يعتزون بها و يعززون موقفهم حيال الملأ . وها نحن اولاء نعالج الموضوع مرة اخرى ونلج هذا الباب عسى ان نصيب قسطاً من صواب او نوفق الى شية من حق فنقول : واصحاب هذا المذهب على اعتقاد ان خلق العالم سابق لخلق آدم — قالوا وانهم قد تعلموا بواسطة الارواح — ان تكبات طبيعية قد انتابت هذا العالم مرات عديدة ، وان هذه الانقلابات ضرورية لتجديد سكان العالم الجسدي وتنشيطه بجعل ارواح جديدة فيه اشد استعداداً واكثر ارتقاء من السابقة ، آية ذلك ان التكبات التي تحل بالامم يعقبها دائماً اصلاح حديث في الحالات العقلية والادبية . قالوا : وان مثل هذا قد تم مع تعاقب الازمان وكر السنين مرات عديدة ، وان الروح التي حلت بجسد آدم قد انحدرت الى عالمنا هذا من عالم ارقى وقد ارمز عند تجسدها بشخص آدم فسميت عند ذلك بالذرية الآدمية . اما قبل هذا الظهور ، فكانت الارض عامرة آهلة بسكان تجهلهم كل الجهل كما كنا نجهل سكان امير كا قبل اكتشافها

يقولون :والكتب تؤيد هذا الرأي لانها تحدثنا عن ظهور ذرية آدم على هذه الارض فتخبرنا بانهم كانوا على شيء كثير من النشاط والذكاء ، وليس يعقل ان هذه حالهم الاّ اذا كان لهم سابقة ظهور وانتقال ، لان ما كان فيهم من نشاط وذكاء واستعداد للفنون يدل دلالة لا شية من شك فيها على ان ناموس الرقي قد وليها زمناً قبل ان تتحدر الى هذا العالم ، وعلى انها ليست ترجع الى اصل واحد من الشعوب الهمجية المتقهقرة قبلاً فيه ، وان الآثار الجيولوجية والعلم الانثروبولوجي (علم تعريف الانسان) وكل ما ظهر للآن من الاكتشافات — كل ذلك يؤيد ويعزز هذا ويجعله سائغاً مفهوماً

وهناك حديث شريف لو صحت روايته لكان مصداقاً للرأي القائل بظهور اوادم كثيرة قبل آدمنا المعروف وهاك هو الحديث (ان آدم هذا قبله مائتا الف آدم) هم يسندون هذا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم ولعلنا نوفق الى تحقيقه . اما ابو العلاء المعري

الشاعر الفيلسوف المعروف فله ايضاً ما يتفق مع هذا الرأي اذ يقول

جائز ان يكون آدم هذا قبله آدم على اثر آدم

والرأي عند اصحاب مذهب تناسخ الارواح ان الناس ارواح متجسدون قطعوا وسوف يقطعون مراحل كثيرة في تجسداتهم على سطح العوالم . وان عمليات التجسد هذه الغرض منها ، صهر النفس وتطهير الروح مما فيها من اوزار ، وانما مثل التجسد مع الروح كمثل بوتقة تدخلها الروح لكي تتنقى مما فيها من الخطايا والميول الدنيئة . او في ميدان جهاد وجلاد وحرب قائمة على ساق وقدم بين القوى الكامنة في الانسان حيث يستفيد من ذلك في تقوية مداركه وقواهُ العقلية فيصعد درجة جديدة في سلم الكمال المنشود

اما رأيهم في الخلق فيقولون انهُ اذا حان حين التجسد لروح من الارواح انبعث من هذه الروح رابط سيال يقيدها بالزرعة الناشئة وقت الحمل ، و يكون مدفوعاً اليها بقوة شديدة لا يحول دونها اي حائل فاذا تم تكوين الجسد ، تم به الجسم الروحاني ذرة بعد ذرة عندئذ يخرج الجنين من حيز الى حيز و يظهر في ميدان الحياة ، ثم تبدأ قواه العقلية تنمو وتأخذ مكانهُ سبيلها في الزكاء — شيئاً فشيئاً مع نمو الاعضاء

على ان المخلوق في حالة تجسده هذه ينسى كل ما فات ولا يذكر ابداً شيئاً مما انتابهُ في تجسداته السابقة — لان الروح مغلفة بغلاف المادة متأثرة بكثافتها — فاذا صادف المخلوق في حياته من الحالات ما يخفف و يلطف من كثافة هذه الاحياز المادية شفَّ الغلاف المحوط بالروح وآنس الانسان مالا يأنسهُ غيرهُ في حالة الصحو ، وعلى قدر ما فيهِ من استعداد ، او على قدر ما تطمح في سبيل رياضته الجسمية ، على قدر ما يستطيع نيل الامور — المرموز اليها بما بعد الطبيعة ، او الغيبيات — وتلك ما يسمونها (كابرثوابانس) حالة الكشف ، ولا يستدل بها على ما لصاحبها من كرامات تبعدهُ عن الجحيم وتدخلهُ النعيم المقيم ، او على صلاحهِ وطيبته ، فقد يكشف عن الفاسق او المصروع والمأفون — لان هذه حالة استعدادية لا دخل لها بالصلاح والطلاح — وهو ما يوافق عليهِ الامام حجة الاسلام الغزالي ويقول بهِ

قالوا : وانما كان من حكمة الخالق سبحانهُ وتعالى ان ينسي المخلوق سابق ما كان في تجسداتهِ — وفي ذكر ما في هذه التجسدات من الفظائع والآثام ما يحدو انكاثن الحي هذا — على الآلام واللوم والعذاب طوال الحياة الجديدة حتى اذا أتم ايام واعوام حياته التجسدية وخرجت الروح من هذا العالم وفارقت ما تقمصتهُ من جسم مادي عاودتها تذكارات

الماضي — فآنست ما قدمت واخرت وما كسبت واكتسبت في كل تجسداتها المادية ، ووجدت كل ذلك حاضراً يتطق بما كان لها من اقوال وافعال وحسنات وسيئات

قالوا : وانما يبقى الروح في تجسداتهِ هوهو — وانما يتدرج العقل في معارج الرقي وسبيل التقدم وانما يتأتى له ذلك من قضاء ما يحتاج اليهِ الجسم من المعنويات ، وهو في جهادهِ هذا يتم مقاصد الخالق دون ان يعلم انهُ يقوم بذلك ، اما الرقي الادبي فيكون باحتياج الناس بعضهم لبعض الى الانسجام او التآلف الاجتماعي

وعندهم انهُ ليس من العدل ان يبقى الهمجي المتوحش طوال الزمن على حالتهِ هاته من غير ان يذوق للعلم والرقي الادبي طعماً ولا لذة لان هذا يتنافى مع قواعد العدالة المطلقة وحكمة الخالق العليم الحكيم — ويتناقض مع ناموس الرقي العام وهو الأساس الذي تشيد عليهِ الطبيعة هيكل عظمتها . على ذلك يكون — ان المخلوق ينال في تجسداتهِ حظًّا او قسطاً من الرقي — وهو مقدار ما يحتاج اليهِ او ما يؤهلهُ للرحلة العتيدة من مراحل تجسداتهِ

بيد ان الروح تبقى بين كل تجسد وتجسد زمناً متفاوتاً هناك حيث ترى اعمالها وما قدمت من خير او شر — (ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرًّا يره) هناك حيث يستعرض اعماله مصداقاً لقولهِ تعالى في كتابهِ العزيز . (ونخرج لهُ يوم القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليومَ عليكَ حسيباً) على حين ان الروح في هذا الدور تنال قسطاً موفوراً من الرقي الادبي يستحيل عليها ان تنالهُ في حالة تجسداتها ، ذلك بان الحياة في هذه الحالة تكون حياة روحية حقة تجتني فيها ما كسبتهُ من ثمار التقدم في جهادها ابان تجسداتها السابقة ، ثم هي من بعد ذلك تكون في حالة التوثب والتأهب والاستعداد لتجسد المقبل ، وما يحتاجهُ ذلك من معدات الجهاد والجلاد والكفاح فاذا تأتى لها الظهور في عالم من العوالم ، تبوأت مكانها الذي استعدت لهُ ، فاما ان تكون موفقة في حياتها ، واما ان تخرج للجهاد الدائم والجلاد المستمر — تقطع مراحل التجاريب في بؤس وشقاء ، واصحاب الدين المؤمنون بالله يستعيذون بالله من ذلك . اما المسيحيون فيقولون في صلاتهم (ابانا الذي في السموات لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد) . واما المسلمون فلهم مثل هذا كثير — منهُ قولهم — اللهم انا لا نيأس من روح القضاء بل نسألك اللطف فيهِ

حسن حسين